بين الاعتكافات والانسحابات.. تكرار الأخطاء القديمة

الرئيس هادي يدعم تأسيس نظام حكم يحقق العدل لكل أهل اليمن، وأول بوادر ذلك هي الآلية التي اعتمدت في الالتحاق بالكليات العسكرية والأمنية هذه السنة

كان تحقيق الوحدة اليمنية أهم إنجاز تاريخي يمني منذ قرون.. ويتساءل المرء هل سيحتفظ التاريخ لصناع ذلك الانجاز بشئ من التقدير على الرغم مما حصل من أخطاء جسيمة بعد ذلك جعلت الشعب والبلد تعاني كثيرا وبصفة مستمرة ومتفاقمة، منذ أكثر من عقدين من الزمن .. بالتأكيد سيتحدث التاريخ عن كل شئ وسيشير إلى الرجال والأدوار والمواقف وقد يبحث في النوايا ويفند الدعاوى . ويقينا فإن التاريخ لن يغفل أو يغفر الاخطاء الجسيمة التي ارتكبت أثناء وبعد تحقيق الوحدة، ومن تلك الأخطاء، التسرع والارتجال ومحاولة لانفصال، وحرب 1994م، والفساد الكبير الذي ساد بعد تلك الحرب، التي كان يمكن تحاشيها لو سلم قادة الوحدة، من الأنانية والتطرف، والحسابات الخاطئة.. ويلاحظ اليوم سيطرة ما يشبه تلك الظواهر والسمات على تصرفات كثيرين ومنهم بعض قادة الحراك وانسحاب أشخاص منهم من مؤتمر الحوار، تحت ذرائع ومبررات ليست معقولة ولا مقبولة.. ويبدون كمن يكرر أخطاء الماضي أو كمن يجري وراء سراب وأوهام.!

علي أحمد العِمراني

عند ما حسمت الحرب لصالح الوحدة ظهرت بلادة الذين ظنوا أن تلك الحرب ستكون نهاية التاريخ

قضايا الوطن المصيرية لا تحل بالانسحابات ولا المزايدات

لـم يكن نظـام الرئيس صالح وحده المسـؤول عن حـرب 1994م، كما يشـاع اليـوم ، لكن طيش الطـرف الآخر، وتطرفـه وتناقضاتـه وقصر نظره وخطـأ تقديراته ،كانت سـببا رئيسـيا آخر لتلك الحـرب التـي نتـج عنهـا إخـراج شركاء الوحدة مـن معادلـة القـوة والتأثـير، وتمخـض عن ذلك تعقيدات ومعضلات لا حصر لها..ولم يكن السفير الأميركـي مجافيـا للحقيقة، عندما قـال إن على السـيد البيض تقديم الاعتذار للشـعب اليمني، كونه المتسـبب في حرب 1994م.. وأتذكر أن حيدر العطـاس رئيس الوزراء السـابق المتميـز كان قد لام البيـض حينذاك على الاعتكافات، التي بدأها في شـهر أغسـطس 1990م بالتزامن مع نشـوب أزمة احتـلال العـراق للكويت.. وقد وجه السـيد العطـاس تلـك الملاحظـات في مقابلـة أجراها في جنيف مع صحيفة الشرق الأوسط..وأذكر أن مما قالـه العطـاس حينـذاك، هو إن إدارة الدول ومعالجة المشـكلات لا تحـل بالإعتكافـات.. وربمـا يحسـن القول للمعنيين اليوم ، الذيـن نحترمهم على المسـتوى الشـخصي، ولا نوافـق أداءهـم السـياسي، إن قضايـا الوطـن المصيرية لا تحل بالإنسحابات ولا المزايدات ..!

طيلة فـترة الثلاث السـنوات التي سـبقت حرب 1994م، كان البيـض مـرة يعتكـف، وأخـرى يظهر على النـاس خطيبا بليغا ومؤثـرا ، يتبنى قضايا الشـعب اليمني، كلـه بالطبع ، ويعبر عن الأحـلام والتطلعـات في البلد المحترم الموحـد المهـاب، الذي صـار رقمـا كبيرا ويصعـب تجاهلـه، على حد تعبـير البيض نفسـه في خطاب لـه عـام 1990م ..ودائما لم يكن البيض ينـسى توجيه سـهام النقد للرئيس السابق صالح التي تمت شيطنته بما فيه الكفاية في ذلـك الوقـت، فيمـا حظـي البيـض بشـعبية وتأييـد كاسـح... وتـوارى صالح الـذي تراجعت شـعبيته ومكانته، وعلاقاته بالناس إلى مسـتوى دون المتوسـط ، ولم يكن قادرا عـلى مجاراة بلاغة البيض، الذي لو اسـتمر يناضـل في ظل الوحدة، لكسب الشـعب اليمني كله في الشمال والجنوب وربمـا لتغلـب في النهايـة عـلى غريمـه اللـدود وشريكه مـن قبل، حيث لم يكن الشـعب مشرذما نفسـيا ووجدانيا عقليـا وعقاديـا، مثلما عليه الحـال اليـوم، بـل كان عـلى اسـتعداد للالتفاف حول من يجسد الأهداف الوطنية الكبرى وأهمها الوحـدة والعدل ..لو اسـتمر البيض في تجسـيد ما يدعو إليه عمليا، لسـلمت البـلاد، من متاعب عديـدة ومنها حـرب 1994م ونتائجهـا، ولتخلد البيـض، رمزا وطنيا كبيرا دون منازع..لكن الأقدار ،والقدرات الذاتيـة، والطباع الخاصة ، والأخطاء الكبيرة، شاءت له وللبلد مسارا ومصيرا آخر..

بعد إدراك الناس حقيقة مقاصد البيض، نحو الانفصـال، خاصة بعد زيارته الشـهيرة وآخرين من القـادة المتوافقـين معه لـدول خليجية كانت تناهـض الوحـدة حينـذاك ، انفـض النـاس من حوله..وكانت تلك الزيارة، بعد توقيع وثيقة العهد والاتفـاق في عمان مباشرة..ولم يكن الأمر مفاجئا أن يلتـف الناس حـول غريمه ولـو على مضض، الذي رفع شـعار "الوحدة أو الموت" ولم يكن ذلك الشـعار مسـتهجنا في ذلك الوقت، كما أن الوقت لم يكن كافيا ليسعف معسكر الانفصال لشيطنة الوحدة مثلما عليه الحال اليوم ، وتحميلها أوزارا وإفكا لا علاقة لها بهما ..

لم تكن حرب1994 م حرب الشمال ضد الجنوب كمـا يحرص كثيرون عـلى تأكيد ذلك اليـوم، بـل إن الجنـوب هـو الذي انتصر للوحدة ودحض الانفصال، بالفعل، وكان أبرز القادة الميدانيين الجنرال المحـترف الرئيس الحالي، عبد ربـه منصور هادي ..كان جل شعب الجنوب أيضا مع الوحدة.. وعـلى الرغـم مـن سـعي البيض وفريقه نحو الانفصال وممارسته عـلى أرض الواقـع ، لم يكـن يجرؤ أحـد منهـم على التصريـح بذلك. مثلما يفعل كثيرون اليوم .. لكنهم في كل المناسـبات كانـوا يتحدثون عـن الوحدة التي انتهـت ولم تعد موجودة على لأرض، كان ذلك قبل الحرب، وكثيرا ما كانوا يقولون لنا، اذهبوا وشوفوا..! ونحن على يقين عن ما الذي قد نسـمع ونشـوف، نتيجة لخـبرات ودور التعبئة الشمولية المتطرفة، وأثرها..!

> **لم تكن حرب1994م حرب الشمال ضد الجنوب كما يحرص كثيرون على تأكيد ذلك اليوم، بل إن الجنوب هو الذي انتصر للوحدة ودحض الانفصال**

وعند ما حسـمت الحـرب لصالح الوحدة ،ظهـرت بـلادة الذيـن ظنـوا أن تلـك الحرب سـتكون نهايـة التاريـخ، وظهـر الفسـاد في كل شيء، وتفشـت عنجهيـة جهويـة غبيـة، و بـرز غرور واسـتعلاء منقطع النظـير، مس الجميع في كرامتهم وحقوقهم ومكانتهم بما في ذلك جنوبيين شـاركوا في الحرب لصالح الوحدة، ولم يسـلم من ذلك الرئيس هادي نفسه الذي كان نائبا للرئيس من بعد الحرب ولكن بدون صلاحيات تذكر ..ومع ذلـك لم يتزعـزع إيمان هادي بالوحـدة ، وقال لي ذات مـرة : لقد خلقـت وحدويا..وقـال لي قيادي جنوبي كبير آخـر، في حضورعدد من الجنوبيين، في رمضـان الفائت، معلقا على موضـوع الاعتذار الذي كان يجـري الحديث عنـه حينذاك ، يجب أن يكـون الاعتـذار عـن نتائـج تلك الحـرب، أما الوحـدة فلا مبرر للاعتـذار عن الحـرب من أجل الحفـاظ عليها، ولو تعرضت لأي مخاطر مجددا فسـنحارب من جديد في سـبيل الحفـاظ عليها، مثلما تفعل جميع الدول والأمم..!

والحـق فقـد كانـت الحقبـة التي تلـت حرب 1994 م حقبة عبث وفساد وتدهور وطني وقيمي شامل ، تستلزم الاعتذار للشعب والتاريخ والقيم والحضـارة ، ولعل الدكتور عبدالقوي الشـميري يتذكر الحديث الـذي دار بيني وبينه ليلة 7/7/ 1994م عند ما رآني واجما وحزينا، وتسـاءل عن السبب؟ ..فقلت سيسود الفساد والفاسدون بعد هذه الحرب..!

وقد ساد فساد لم يتخيله أحد ، وكان اشمل وأوسع وأخطر وأعمق ممـا تخيلتـه أيضـا .. وبعد صبر طال بعض الـشيء، وبعد تلاشي آمـال الإصـلاح، تململ الشـعب في الجنـوب وانتفـض في الصورة التي سـميت بالحراك، ثم لحقه الشـمال في ثورة شـعبية عارمة، تمهـد الطريـق لتغيـير وإصلاح وطني شامل، في ظروف لا تخفى صعوبتها وتحدياتها وتعقيداتها .. ولا تخفـى الحاجـة معهـا، إلى الزمن والصبر..

ذات مـرة قلـت أن الجنوب لن يضـام ولن يظلـم في عهد الرئيس هـادي وما بعد عهده أيضـا ..والرئيس هـادي وهـو الرجـل الحصيـف المتـزن الحـازم ، يدعم تأسـيس نظام حكـم يحقق العدل لكل أهل اليمـن، وأول بوادر ذلك النظام هـي الآلية التي اعتمـدت في الالتحاق في الكليات العسكرية والأمنية هذه السـنة، وهذه الآلية وإن كانـت لا تـزال في بدايتهـا لكنها مـؤشر يدل على رؤية وتوجه يحقق تكافؤ الفرص بين أبناء الوطن الواحد، في أهم مؤسسة وطنية، شابتها السيطرة والأستحواذ المناطقي والعشائري وأسفر ذلك عن خلل وعيوب وقصـور تخل بقضية العدل وتكافؤ الفـرص بـين أبنـاء الوطـن الواحـد وتضعف من كفاءة المؤسسة العسـكرية وفعاليتها ..قبل ثورة الشـباب تحدثت عن مظالم في هذا الصدد في أكثر من مناسبة ،وذكرت أن عدد القادة العسكريين في مديرية مكيراس التي ضمت إلى محافظة البيضاء أكثر مما لدى محافظـة البيضاء بأكملها.. وتأكد لي حجم الاختلال بعد أن سألني وزير الدفاع قبل أيام ، هل يوجـد ضابط من البيضاء مؤهل ليكون قائد لواء ، فلم نعثر على أحد..!؟

> **الحقبة التي تلت حرب 1994م حقبة عبث وفساد وتدهور وطني وقيمي شامل تستلزم الاعتذار للشعب والتاريخ والقيم والحضارة**

وذات مـرة ، وقبل ثورة الشـباب أيضا أشرت في مقال بعنـوان " عشرين عاما من العبث " إلى أحد أهم مظاهـر العبث، وهـو حال الجيـش الوطني الذي عايشـت وحدات منـه أربعين يوما في حرف سـفيان..ولفت نظـري هناك حديـث القادة عن زميلهم القائد الذي لا يرى الشـمس حتى في فترة اشـتداد المعارك، وهو ينتمي إلى عشـيرة نافذة في الجيش لم يسـتطع وزيـر الدفاع اقـتراح تغييره، حينذاك ، واكتفى باقتراح تعيين أركان حرب للواء يتمتع بالشجاعة والكفاءة العالية...!

طيلـة الأربعين يومـا لم نر ذلـك القائد المقرب المدلـل، وكنا نسـمع كثيرا عن مواجهـات الأركان معه، وهو ضابط متميز، وشهدنا إطلاق الرصاص ومظاهـرات المجندين، وهم يطالبـون بحقوقهم المالية التي اسـتولى عليها ذلـك القائد المرفه ، ثم أجبر على إحضارها من بيته في صنعاء..!

وصـدق الرئيـس هـادي عند مـا يقـول : جيـوش العشـيرة والقبيلـة لا تقاتـل ولا تحمـي حيـاض الأوطـان، حيـث يكـون همهـا الكسـب والفيـد..! وتكون الهزيمـة مـن نصيبهـا دايمـا..! ورأيـت الهزيمة في صعدة وحرف سـفيان ، ليـس لبسـالة الذيـن يقاتلـون الجيـش هنـاك، أو لعدالـة قضيتهـم ،لكن الجيوش التي تسـتحوذ عليهـا اعتبارت العشائر ومصالحها لا تنتصر..!

يـدرك الرئيـس هـادي أنـه رئيس لكل اليمـن، ومع ذلك فهو يتبنى المعالجات العملية العادلة والمسـؤولة للقضيـة الجنوبيـة التـي يعـرف طبيعتهـا وأبعادهـا، وحقيقة علاجهـا.. وهو ليس بحاجـة لمن يذكـره أو يزايـد عليه فيما يخص الجنوب ..ومـع أنه رئيس اليمن كلها فهـو أيضـا ابن الجنـوب ، وقد شرع يسـمي الأشـياء بأسـمائها، عنـد مـا يعلـن في وجـه المزايـدات والمغالطـات أن ملامـح الحـل لقضية الجنـوب، أفضـل بكثير ممـا تحقـق للجنوب في 1990م ، أو مـا تضمنته وثيقة العهد والاتفاق عام 1994م، وهاهـو فخامتـه يؤكـد أيضـا أن الوحدة مقدسـة ويصف أولئك السـاعين نحو ما يسمى بتقرير المصير أو استعادة الدولة بالساعين خلف السـراب.. وكلمـا تمـادى أولئك فسـوف يضطر فخامتـه لقـول وحديـث وتفصيل أكـثر وضوحا وتحديدا مما سـبق، وحينذاك سيكف المزايدون، الذيـن صمـت بعضهـم أكـثر مـن خمسـة عشر عاما، دون كلام..ولما سـنحت الفرصة انبرى ذلك البعض، يدفع هذه المرة في سبيل تأجيج الكراهية والعنـف على أسـس جهوية لا عهـد لأهل اليمن بها..ويتـم ذلك بتمويل خارجي وأسـلوب فاشي وشـوفيني، وقد تسـتحضر فيه تجارب وأساليب الماضي الشـمولي الذي اسـتهدف فئات من أبناء الجنـوب ذاته في السـتينات وبداية سـبعينيات القـرن الماضي على أسـس اجتماعية وطبقية كما قيل حينها.

الجيوش التي تستحوذ عليها اعتبارت العشائر ومصالحها لا تنتصر..!